واجتماعية تقدمتها درجة معينة من التذرر ، ووسعت هي بدورها هذه الدرجة الى أبعاد واصعدة جديدة . اننا نجد مثلا واضحا على ذلك في الثورة الانكليزية ١٦٤٠ — ١٦٨٨ ، في الثورة الاميركية ، ١٧٧٥ — ١٧٨١ ، وفيما بعد في الحرب الاهلية التي عانتها الولايات المتحدة وفيها انتصرت الصناعة نهائيا على الزراعة ، ١٨٦٠ — ١٨٦٥ ، في الثورة الفرنسية ، ١٧٨٩ ، في الثورة الروسية ، ١٩١٧ ، في الحرب الاهلية التي خاضتها ، ١٩١٩ — ١٩٢٢ .

في اطار حياة اجتماعية عادية ، يكون الفرد عادة عضوا في وحدات أو تشكيلات عديدة ، والتناقضات التي لا يخلو منها أي مجتمع تعبر عن ذاتها آنذاك في اشكال ثانوية محدودة من الصراع او الخصام، يحمل اليها الفرد جزءا فقط من ذاته ، دون ان يلتزم كيانيا بها ، ودون أن يعلق بها قضية وجوده نفسه . ولكن عندما يستثني المجتمع جزءا من ابنائه — كاستثناء الزنوج في الولايات المتحدة مثلا — من المشاركة على قدم المساواة مع الآخرين ، في هذه الوحدات والتشكيلات العديدة ، فان التناقضات تصبح أساسية وشمولية تعبر عن ذاتها في اشكال من الصراع العنيف يدخلها الفرد بكل ذاته ، ويلتزم بها بكل كيانه ، لان النظام القائم كان قد استثنى ليس جزءا بسيطا او ثانويا من هذا الكيان من المساهمة فيه ، بل كل الكيان وكل الذات ، لذلك يكون الرد عليه ردا يلزم كل الكيان ، وكل الذات .

تشتت عرب فلسطين لم ينه ويمزق فقط العلاقات والوحدات الاجتماعية التي عرفوها في مجتمعهم الفلسطيني ، بل اخرجهم من المجتمع العربي ككل ، وبذلك وفر لهم الوضع الاجتماعي النفسي الذي يمكنه افراز وضعية ثورية مثلى ، لانه قطع جميع الروابط والعلاقات التقليدية التي تربطهم بهذا المجتمع في وجهيه ، الوجه الفلسطيني والوجه القومي . هذا الخروج من المجتمع التقليدي ، هذا التذرر هو — على الرغم من سلبياته — بداية الانطلاق نحو حياة جديدة ، نحو بناء انسان عربي جديد . فهو لا يستطيع أن يبقى في هذه السلبيات وظواهرها المرضية ، لانه يجد أمامه قضية ثورية كبرى تتميز بمقاصد نبيلة تدعوه الى الالتزام بها ، وعن طريق هذا الالتزام تحقيق وحدة ذاتية جديدة ، تقوده الى ولادة جديدة .

هذا التذرر الذي عاناه عرب فلسطين عن طريق النكبة والمأساة ، فوفر له أولا الخروج المادي من المجتمع العربي التقليدي ، الذي يدفعه بديالكتيكه الخاص الى الخروج النفسي الاجتماعي والايديولوجي منه ، هو التذرر الذي يفرضه القتال في سبيل تحرير فلسطين على العربي . فدونه لا يمكن للعربي أن يكشف عن جميع طاقاته وامكاناته وتكريسها للمعركة ، ودون الكشف عن هذه الطاقات والامكانات لا يستطيع ان يكسب المعركة .

من هذه الملاحظات العامة نصل الى الحقائق التالية التي يجب الارتباط بها :

١ — المرحلة الانتقالية المفروضة علينا فرضا كنتيجة لديالكتيك تفاعلنا مع التاريخ الحديث ، تعني درجة متزايدة من التذرر الاجتماعي والنفسي . أي أن المرحلة الانتقالية تعمل — كنتيجة تلقائية للاقتباسات الحضارية التي نأخذها وتدخل الينا باستمرار ، التي نمارسها ونعانيها ولا قبل لنا بدفعها او التهرب منها — على تهديم الولاءات والانتماءات التقليدية ، وتحويل الفرد العربي عنها .

٢ — ان هذا التذرر الذي يعني تحويل العربي ، بطريقة واعية او لا واعية ، بشكل مباشر او غير مباشر ، عن تلك الانتماءات والولاءات التقليدية ، ويجعله يعاني حالة من الاغتراب والفراغ لا قبل له بها ، تولد فيه جميع انواع الاضطرابات النفسية والاخلاقية والانحرافات السلوكية .

٣ — ان هذه الحالة ، حالة الاغتراب والفراغ ، لا يمكن — كما نعرف من التجارب التاريخية الثورية ، او بكلمة محددة اكثر ، من الاوضاع التي مهدت لظهور هذه التجارب — أن تستمر طويلا ، لان الجماعات التي تعانيها تحاول دائما أن تتجاوزها